القرائن السيميائية في حمولة عنوان رواية "زنقة الركابة "

لمحمد سعادي

الدكتورخالدي سمير *

الملخص:

يهتم المقال بدراسة عتبة العنوان في رواية: "زنقة الركابة" للروائي محمد سعادي من خلال دراسة تعكف على تحسس القرائن السيميائية في حمولة العنوان وما تتضمنه من مؤشرات وعلامات تفتح للقارئ مجال التوغل إلى مكنون المتن الذي يحمل في جوهره حد الاستعارة والترميز لخطاب أدبي وجمالي، ويتصف العنوان في الرواية بأنه ثنائي البنية التي تصور لنا مشهدا مكانيا يتميز بالضيق والاتساع والمتمثل في "السوق" الذي يحيل إلى التاريخ وأصالة الشعب وانتمائه وتشبثه بالمكان، المصدر الوحيد لحياته ورزقه وجني قوت يومه، هذا المكان الذي تقرر الدولة إزالته هذا القرار الذي يشكل هاجسا ومخاوف لميسوري الحال والشباب البطال حيث أصبح مستقبلهم مهدد وحياة أسرهم وذويهم في خطر.

Abstract

This article is concerned studying of the threshold of the title in the novel: "zangat elrakabat" by the novelist Mohamed Saadi with studying that is concerned with sensing the semiotic evidence in the load of the title and the indicators and signs that open the reader the field of penetration into the The substance of the content, which carries the essence of metaphor and symbolizes a literary discourse and aesthetic, The title in the novel is a binary structure that depicts a spatial scene characterized by the narrowness and breadth of the "market" which refers to the history and originality of the people and their belonging and attachment to the place, the only source of his life and livelihood and the reap of his day, this place which the state decides to remove this decision which is an obsession The richess and youth unemployment fears became where their future is threatened and the lives of their families and their families at risk.

الكلمات المفتاحية:

ا ; العتبة-القرينة السيميائية-علامة

* -أ.خالدي سمير، المركز الجامعي أحمد زبانة، غليزان.

مقدمة:

يعد العنوان مفتاحا يتيح المجال للولوج إلى متن حدث الرواية، مشكلا بذلك عتبة هامة لتأويل الخطاب الأدبي، فهو علامة لسانية تتموقع لقراءة حدث النص في زمانه ومكانه.

بل هو العلامة الأولى لفهم بنية النص، لما له من دور كبير "إذ يمثل أحد مفاتيح النص، وواحدا من العلامات السيميوطيقية المهمة في العمل الأدبي. فهو جزا لا يتجزأ من النص الملحق، بحيث يندرج ضمن خانة النص الملحق المباشر[1] "

في نظر ليو هويك *(Leo)* :"له الأولوية على كل العناصر الأخرى المكونة للنص..." فهو عنصر تسلطي يمنهج القراءة"[2].

فالعنوان إذن، هو ما يعلو النص، مكونا نسقا من العلامات يأخذ شكل الجملة المفتاح: "يمارس على القارئ سلطة أدبية وفكرية، إنه كالاسم للشيء به يعرف وبفضله يتداول، يشار به ويدل به عليه ويحمل وسم كتابته[3]."

يمثل أول مفتاح إجرائي تنفتح به مغالق النص، كونه علامة سميوطيقية تضمن لنا تفكيك النص، وضبط انسجامه، فهو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه.[4]

يشكل هدفا يصطدم القارئ والمتلقي عبره بجملة من القرائن السيميائية فتتكون لديه دلالة خاصة للنص، فهو بمثابة الرأس، أو الروح للجسد، "إن العنوان يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام يكسبها العنوان في ضمان حياة النص[5]".

يؤثر العنوان في حضور القارئ، في مهله الفرصة الممكنة للتفكير والتدبر، لما يتوفر عليه من قرائن إشهارية للمنتوج الابداعي، وقبل أن نلج في بحر"عنوان الرواية" لابد من أن نقف عند حدود معناه "لغويا"، و"اصطلاحيا".

فلا يمكن تصور عنوان بدون نص، ومن هذه الرؤية يعد العنوان مرجعا يحيلنا إلى النص، وتساعد مختلف بنياته على فك شفرة النص، إذ لا يوضع العنوان عبثا في الغلاف، بل يعد مفتاحا إجرائيا يقرأ به النص، وأول المفاتيح التي نفتتح بها عتبة النص.

العنوان لغة:

ورد في لسان العرب في جذر (مكن)" المكان والموضع والجمع أمكنة والأماكن جمع الجمع، وقال ابن سيدة: "العنوان شيمة الكتاب وعنونة وعنوانا وعناه، كلاهما: وسمته بالعنوان، وقال أيضا العنوان سمة الكتاب، وقد عناه وأعناه، وعنونت الكتاب وعنونته، قال يعقوب: وسمعت من يقول أظن وأعن أي عنونة وأختمه، قال ابن سيدة : وفي جبهته عنوان من كثرة السجود، أي أثر[6]"

العنوان اصطلاحا:

هو"مقطع لغوي أقل من الجملة نصا، وعملا فنيا، ويمكن النظر إلى العنوان من زاويتين في السياق وخارج السياق والعنوان السياقي يكون وحدة من العمل على المستوى السيميائي ويملك وظيفة مرادفة للتأويل عامة[7]."

ومع أن التعريف يركز على أن تتجاوز الجملة.

يحتل العنوان موقعا استراتيجيا، وعلامة لغوية وقرينة سيميائية تساهم في تكوين جمالية الخطاب الروائي محتلا بذلك الصدارة وبوابة الحدث، فيتجلى لنا بشكله المتفرد، والمتميز يختزل في رحمه معرفة مترسبة، تنتظر من يطرق عتبة بابه، لاستكشاف جوهر النص.

أما في نظر الناقد "إدريس الناقوري يتوفر العنوان: "على الوظيفة الاشهارية والقانونية تتجاوز بذلك دلالته، الفنية والجمالية لتندرج في إطار العلاقة التبادلية الاقتصادية والتجارية تحديدا وذلك لأن الكتاب لا يعدو كونه من الناحية الاقتصادية منتوجا تجاريا يفترض فيه أن تكون له علاقة مميزة يتحول بموجبها العنوان إلى منتوج أدبي، وفني قابل للتداول، هذا بالإضافة إلى أنه وثيقة قانونية وسند شرعي يثبت ملكية الكتاب أو النص وانتماء لصاحبه ولجنس معين من أجناس الأدب، أو الفن"[8].

كما يتصف ـ العنوان ـ بأنه الموجه الفعلي لقراءة الرواية، والحامل لجملة من القرائن السيميائية، فهو المفتاح الذي به تفك شفرة النص، بمجمل أحداثه المتشعبة على اختلافها، وتنوع إيقاعها السردي، ومساهمته في تحديد بنية النص، وتيمات الخطاب، ويعتبره"كلود دوشيه" : "عنصر من النص الكلي الذي يستبقه ويتذكره في آن بما أنه حاضر في البدء وخلال السرد الذي يدشنه يعمل كأداة وصل وتعديل للقراءة فالعنوان مرآة محفزة لكل ذلك النسيج النصي.[9] "

إذن هناك علاقة داخلية تربط العنوان بالنص من خلال مجموعة من قرائن سيميائية وبنيات تحمل في مضمونها حد الاستعارة والترميز، مما يتطلب على المؤلف لوضع العنوان وقتا واسعا كله تأمل، وتأني وتدبر لتوليده، ليتحول بعد ذلك إلى علامة لغوية تحدد هوية النص، فالأمر نفسه يشعر به القارئ أثناء تحسسه العنوان بعينه، وعقله وقلبه محاولا فك رمزه، وحل لغزه لما يحتله سياق العنوان من موقع استراتيجي الذي يهب النص أهمية تستقطب أكبر عدد ممكن من القراء والمهتمين المغامرين.

يتتبع القارئ المتميز القرائن السيميائية التي تشكل العنوان وكيفية صياغته بحذر شديد :" باحثا عن مدى علاقتها بالنص فإما يكون النص معبرا من عنوانه بحيث يساهم في حل رموزه وإما يعيد دمجه في كلية النص عن طريق التشديد على وظيفة الشعرية الكامنة في العنوان محولة المعلومة والعلامة إلى قيمة والخبر إلى إيحاء[10]."

كثيرا ما تستوقفنا القرينة السيميائية للعنوان، وتضعنا أمام عتبة النص وكأنه يحاول المساهمة في تأسيس نمطيته، يولد فينا عنصر الرغبة في كشف ما هو كائن وراءه، وماذا يحمل بداخله؟ أو بتعبير آخر ماذا يتضمن من القرائن التي تدفع بنا إلى حب الاستطلاع ومغامرة البحث، والكشف عن دلالاتها ومعانيها؟ وعلى ضوء هذه المقاربة السيميائية سنحاول استضافة العنوان بمجمل قرائنه للكشف عن دور العنوان ومساهمته في تأويل مضمون النص.

وعليه فقد شكل العنوان أهمية كبرى في المقاربات السيميائية، باعتباره المحطة التي يتعامل معها القارئ المتميز وعليه أن يحسن الوقوف عندها والتعامل معها، يستنطقها ليمر بعد ذلك إلى عالم النص.

يعلن العنوان حضوره بكم من القرائن والمؤشرات غايتها مقصودة إذ يمثل: "المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص، وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره وتشعباته الوعرة[11]."

فلا يمكن لنا أن نتصور نصا أدبيا بدون عنوان تخبر عنه قرائنه السيميائية، وإلا سيفقد ذلك بالتأكيد النص لوسمه. فإذا كان عنوان الشخص يدل على مقر سكناه، ومكان إقامته فإن للنص عنوانا يدل على هويته وتعريفه من بين النصوص الأخرى، ويدل هذا الترابط المتين بين ثنائية (النص والعنوان) فبدون النص :" يكون

العنوان وحده عاجزا عن تكوين محيطه الدلالي، وبدون العنوان يكون النص عرضة للذوبان في نصوص أخرى[12]."
ويدل ذلك على أن للعنوان أهمية لا حد لها في رسم هوية النص، وحضوره وانتماءه، ومن ثمة فالعنوان أشبه ما يكون ببطاقة هوية تؤدي دور اللوحات الإشهارية الخاطفة، ويمكن الولوج إلى النص من خلال عنوانه الذي يضع أحد قرائن النص وعلاماته السيميائية، التي تشكل في وظيفتها المفتاح الذي يضعنا أمام عتبة النص الأولى.

-العنوان في رواية زنقة الركابة:

حضي العنوان باهتمام كبير في مجال السميوطيقا، والدراسات السردية للكشف عن مضمونه الجمالي في النص الأدبي، والسينما، والإشهار نظرا لوظائفه المرجعية واللغوية والتأثيرية والأيقونية وقرائنه السيميائية.

بشر هذا الاهتمام البالغ بالعنوان ودراسته المعمقة بميلاد علم جديد مستقل وقائم بذاته يعرف بعلم العنوان (Titrologie) الذي ساهم في صياغته وتأسيسه باحثين مثل: "جيرار جنيت، شارل كرفل"، روجير روفر، "وليوهويك"، الذي يعرف في بداية النص من أجل تعيينه والإشارة إلى مضمونه الإجمالي من أجل جذب الجمهور المقصود".[13]

ودعا في الاتجاه نفسه "لوسيان قولدمان" الدارسين والباحثين إلى ضرورة الاهتمام بالعتبات بصفة عامة، والعنوان بصفة خاصة ليتفحصوه بما يستحق من العناية.[14]

يمثل العنوان في رواية "**زنقة الركابة**"، قرينة سيميائية تتضمن الرمز والإيحاء والتكثيف والاختزال للمعنى إذ يحاول صاحب النص من خلاله إثبات مقصده ليقنع القارئ عبر خطاب – العتبة-

يختزل العنوان "**زنقة الركابة**" فكرة عامة وشاملة تدفع المتلقي بالولوج إلى بعض أسرار أحداث المتن من قبل أن يهم بمغامرة القراءة .

ومن خلال ذلك، تنبثق أهمية العنوان من حيث كونه مؤشرا وقرينة تعريفية دالة على كينونة النص وإضاءة سراديبه الشديدة الظلمة.

تمثل "زنقة الركابة" أحد أهم عناصر النص الأساسية، لكونه يؤسس لعتبة النص، وأولى إشاراته، فهو الحامل لقرينة سيميائية تميز النص، وتعرفه عن سواه من النصوص يعد من: " العناصر المجاورة والمحيطة بالنص الرئيس، إلى جانب الحواشي والهوامش والمقدمات والمقتبسات والأدلة الأيقونية"[15].

القرائن السيميائية لعنوان الرواية:

فالقرينة هي الجمع بين شيئين اثنين أو أكثر مثل قولنا في المناسك: "قرنت بين الحج والعمرة أي جمعت بينهما وأديتهما بإحرام واحد وكأن نقول عقد القران، معناه عقد الزواج، والمرأة قرينة لزوجها أي مصاحبة له مدى الحياة."[16]

ومنه اهتم دي سوسير ومن جاؤوا بعده بدراسة العلامة اللغوية وغي اللغوية حيث بين دوسوسير أن العلامة هي ثنائية (دال ومدلول) بينما هي عند بيرس ثلاثية (دال ومدلول ومرجع) ومهما كانت صفة وميزة العلامة تشكل موضوعا للسيميائية تقف على الرمز فيها والمؤشر والأيقونة والقرينة ومن هذا المنطلق أردنا من خلال دراستنا التي وسمناها بـ"**القرائن السيميائية في حمولة عنوان رواية زنقة الركابة للروائي محمد سعادي** "

تقذف بنا عتبة العنوان إلى السوق العتيق والقديم بمدينة غليزان، معروف برخاء أسعاره وقبلة ميسوري الحال ومحطة للمسترزقين، فضاء يباع فيه كل شيء، القديم والجديد بحيث تتربع أحداث النص على عشرة فصول

كاملة توحي أحداثها، أمكنتها وشخصياتها إلى أصالة الذات الكادحة البسيطة المتواضعة التي تسعى إلى كسب لقمة العيش مما يباع ويشترى في زنقة سوق الركابة: " ففي كل مكان أو فرشة بائع تتربع الملابس والأواني وألعاب الأطفال الصينية التي كان الكثير من صناع المدينة يتفننون في صنعها وإبداعها[17].

يرصد لنا متن الرواية حركية ونشاط السوق بالمتوافدين عليه، فهو مكان يعرف بجملة:

" كل شيء يباع في زنقة الركابة".[18]

يفتح لنا العنوان باب الذاكرة التاريخية على مصراعيها حيث تتجلى لنا رغبة الروائي الشديدة في التأكيد على مدى ارتباط الذات بمكانها وأصالتها الذي يعكس حضور الذات والإحساس بالانتماء والهوية. إلا أن قرار المسؤولين على إدارة شؤون المدينة بإزالة السوق وتحويله إلى شارع عادي أثار استياء الناس واعتبره الروائي طمس للمعالم التاريخية الأصيلة وكذا تجريد الذات من هويتها وارتباطها بذاكرة المكان ويتجسد موقف الروائي الرافض لتغيير ملامح زنقة الركابة بجملته:..." والزقاق الطويل الذي استخلفت أرضيته الحجرية بالإزفلت الأسود... واستخلفت وجوه بوجوه أخرى."[19] وهو نفس الإحساس بالخيبة الذي يخيم على شعور الحاج عبد الحي: " يا حسراه تبدلت زنقة الركابة.[20]

البنية المعجمية للعنوان:

إن المتأمل في العنوان يلاحظ أنه ثنائي البنية : **"زنقة الركابة"**

يحظر لنا البناء المعجمي للعتبة طيفا دلاليا شاسعا لجملة من المعاني التي يمكن أن تتولد من مفردة العنوان حيث ورد في معجم الوسيط أن "الزنقة ":

زنقة:" هي المسلك الضيق في القرية، فنقول زنق العدو بمعنى ضيق عليه وحاصره " [21]

الركابة:

معناها من ركب يركب ركبا، امتطاء الفرس أو ما شابهها من الحيونات التي سخرها المولى سبحانه وتعالى لبني البشر.

ورد معناها في معجم الوسيط للغة العربية المعاصر أن الركابة من (ر ك ب) والركاب وضع الفارس رجله في الركاب وأنطلق بفرسه، وهي أداة من حديد تعلق في السرج يضع عليها الفارس رجله وهما ركابان، والركاب للسرج ما توضع فيه الرجل." [22] ويعرفها لنا الراوي بأنها: " أخذت تسمية زنقة الركابة من أولائك (الركابة) حرفي تركيب نعل الأحصنة الذي يوضع على حافرها."[23]

إذن الركابة تحيل إلى الفارس أو الخيال و"الركاب" حلقة من الحديد التي توضع في أسفل السرج ليثبت عليها الراكب قدمه وهو يجلس على السرج فوق ظهر الراحلة.

فزنقة الركابة قرينة تحيل على سوق مفتوح على مختلف البضائع المتعددة الأنواع بقدمها وحداثتها فهي مكان كانت تباع فيه كل ما يحتاجه الركابة من لوازم لركوب الخيل و"الفانتازيا " يفيدون

ويستفيدون، فالزنقة: "تعرف بفنادقها العديدة التي سموها اليوم (الكوري) فكان المسافرون أو المسوقون القادمون من الدواوير أو القرى المجاورة لمدينة غليزان لكي يتسوقوا كل يوم خميس يبيتون أحصنتهم وأحمرتهم

وبغالهم في هذه الفنادق (الكواري) ويبيتون هم في الغرف الموجودة فوقها ... بل ومنهم من يبيتون في الحمامات بعد أن يأخذوا حماما ساخنا ...ويوم السوق الخميس والجمعة صباحا يفترشون بضائعهم لبيعها للزبائن الوافدين إلى السوق ثم يشترون هم ما يحتاجونه في بيوتهم الريفية من سكر وزيت وملح وكبريت وصابون وغيرها مما لا يمكنهم زرعه في أراضيهم ولا تتمكن نساؤهم من صناعته بأيديهن"[24].

ومن خلال وقوفنا على مجمل القرائن ومعانيها لحمولة عتبة العنوان يتضح لنا أن الروائي قد استهل روايته بخطاب ثنائي البنية يتسم بالمكان وضده، بين، (الضيق والاتساع) فالزنقة معروفة بصغرها وضيقها.

وعليه فلا يمكن تصور العنوان الذي يحمل بعدا مكانيا خلوه من الإيحاء والدلالة وإنما يمثل علامة يتقاطع فيها المرجع بالمجاز، والواقع بالماضي القريب، لذلك جاء العنوان ليتغذى من الذاكرة والأصالة.

قرائن الأبعاد المكانية:

يبدو للقارئ وهو يتتبع مجريات وتطور الأحداث في متن الرواية أن هناك علاقة ترابطية بين قرائن عتبة العنوان والنص: "إذ يتصدر اللوحة بالنسبة للغلاف والصفحة بالنسبة للقصيدة."[25] وأما النص: " فيلقي بضلال سلطته على القارئ يفرض نفسه عليه لأجل استئذانه للدخول إلى عالم النص."[26]

يجسد العنوان -زنقة الركابة -تلك العلاقة الثنائية الأزلية بين الإنسان والمكان على اختلاف أنواعه وصفاته وماضيه السعيد والحزين وحاضره المزري ومن ثم وظف الروائي محمد سعادي قرينة المكان بوصفه تقنية سردية تعكس مدى التوافق والتجانس بين ثانية (الإنسان-المكان) : "شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني يتجدد عبر الممارسة الواعية للفنان".[27] ويمثل المكان في الفن بصفة عامة ذلك الاختيار الذي يشمل اللغة والمعنى والفكرة والمقصد[28]

ومن خلال العلاقة الترابطية يفتح لنا العنوان وما يزخر به من قرائن سيميائية عالم التأويل على مصراعيه فيتجلى لنا المكان- زنقة الركابة- في صور وتمثلات قرائنها لمتعددة إذ يتصف المكان بجملة من الأبعاد التي تساهم في تصوير الحدث وتركيبه الذي تحركه الشخصيات في أزمنة معينة والمتمثلة في:

أ- **قرينةالبعد الاجتماعي:**

تتخذ زنقة الركابة بعدا مكانيا يوحي إلى مدى تشبث البطالين وميسوري الحال به فهو جزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية ومصيرهم الذي يكسبون منه قوت يومهم بشق الأنفس حيث: " احتضنت زنقة الركابة كل الأشخاص الذين فقدوا تجارتهم وخسروا أموالهم ... فاحتضنتهم بحنانها وتواضعها ..."[29]

تحيل السوق على قرينة البعد الاجتماعي بامتياز مما يجعله يتبوأ مكانة مهمة بين سكان مدينة غليزان قبلة البائع والمشتري في كل يوم خميس وصبح الجمعة يدافعون عنه بقوة لأنه موطن رزقهم وعيشهم: " فلا يحبون أن يكون في سوقهم سارق يؤذي زبائنهم فكانوا كلما أمسكوا بسارق أهروه ضربا بالعصي ثم يطلقون سراحه دون تسليمه إلى الشرطة أو الدرك فيكون عبرة لغيره من سراق السوق."[30]

فهم يدافعون على أمن المكان وسلامته بحي يبدو لنا ذلك واضحا من موقف الحاج معروف أحد المترددين على السوق متمنيا أن تتنقى "زنقة الركابة" من هؤلاء : "لأن الرحبة رحبة تلقاط الرزق."[31]

فالسوق دوما يعج بمعمريه من الباعة الذين يفترشون سلعهم المختلفة والمتنوعة الجديدة والقديمة جنبا إلى جنب وبالمشترين الذين يجوبون السوق بحثا عن ما يريدونه من سلع وبضائع وهو ما لاحظه: الشاب عابد بياع لجيوي:

"حين دخل لأول مرة إلى زنقة الركابة لم يعرف أين يضع عربته كل الأمكنة محجوزة لم يبق مكان إلا واحتله أحد باعة الخردة الكثيرين دون الواقفين ببضائعهم المتحركين مرة على مرة في كل مكان وأي مكان."[32]

ب- قرينةالبعد التاريخي:

تؤدي قرينة البعد التاريخي لزنقة الركابة شاهدا على ما عاشه السوق وأهله في مدينة غليزان من ما عانته كل أرجاء الوطن من تقتيل وتذبيح أثناء العشرية السوداء حيث كانت زنقة الركابة أحدى هذه الأحداث المؤلمة والتي يذكر تفاصيلها أحد قدماء زنقة الركابة: " في تلك الصبيحة عندما وصل تجار الخردة بالقرب من زنقة الركابة هالهم الموقف وقد منعوا من الاقتراب من الحصار الذي أحكمته الشرطة وبعض المتخصصين في التفجيرات المكممين الواضعين زجاجات واقية من شظايا الإنفجارات على وجوههم:

- أقعدوا بعيد... ما يقرب حتى واحد...

صرح أحد الشرطة الذي يبدو أنه هو المكلف الأول بالعملية برمتها

فتراجع المتجمهرون إلى الوراء فليلا يحملقون في تلك السيارة البيضاء (رونو اكسبرس) التي بقيت لوحدها في المكان الذي وضعت فيه قرب ذلك المسكن بطابقه الأول فوق مجموعة دكاكين.... بقيت الوضعية على ما هي عليه إلى غاية منتصف النهار لكي يتمكن تقنيو التفجيرات دون إحداث أي خسائر." [33]

ج - قرينة البعد النفسي:

يعكس المكان قرينة البعد النفسي التي تمثل أحد الأبعاد التي يوظفها الروائي للتعبير عن انفعال سكان المدينة والمترددين على سوق زنقة الركابة خاصة بعد انتشار خبر فض السوق وإزالته، ترمز زنقة الركاب إلى مصدر عيش الباعة الذين لا حول لهم ولا قوة يتوكلون على الرزاق العلي الكريم في كسب لقمة يومهم بشق الأنفس فسوقهم يباع فيه كل شئ فأصبح يعرف بمقولة يرددها الجميع: " **كل شيء يباع في زنقة الركابة."**[34] فعندما تضيق الدنيا بالفرد يتحول سوق الركابة إلى مكان جاذب للسكينة ومأوى للمحتاجين والفقراء لتعم الحركة والضوضاء فيزداد الفضاء المكاني على امتداد المتن جزءا لا يتجزأ من ماضيه وحاضره وحياته يثير من خلاله كما من الأحاسيس والمشاعر.

تجسد قرينة البعد النفسي عن صورة إحساس الفرد المحروم، بغربة مكانية تائها في بحر من الظلمات وحيرة مستمرة لمستقبل مجهول ومصير غامض، فلم يكن يضن عواد ولد الكحلة الطالب الجامعي: "أنه سيأتي عليه يوم سيكون في زنقة الركابة يتاجر في العملة."[35]

وعابد هو الآخر طالب جامعي متخرج من معهد علم النفس بياع ليجوي: " نزل إلى زنقة الركابة بعد وفاة والده على إثر حادث مرور ليكفل إخوته الأربعة ببيعه ألعاب الأطفال."[36]

أو أمحمد الذهاب: " يتحول من بائع للذهب إلى بائع للكاوكاو في زنقة الركابة."[37]

فكثر الشك وتساؤل عواد ولد الكحلة كبقية الباعة حول صحة خبر فض السوق من عدمه:

- "كاينا منها الشيئ اللي اسمعناه؟"
- ما اتأمنش هذي غير دعاية؟ "[38]

ففكرة فض زنقة الركابة كثر الكلام واللغط عليها بقوة. لا يسأل واحد من هؤلاء إلا ويقول بأنه هو الآخر سمع بها."[39]

- آخويا راهم إيقولوا.
- أطفرت الحاج خويا.

- يتساءل الحاج بلة:
- "مسكين عمي عبد الحي، غادي يبقى محبوس في داروه إيلا فركتو زنقة الركابة، ما عندو منين يأكل؟

تعكس هذه التساؤلات الصراع النفسي والشك والغموض الذي تعكسه قرائن البعد النفسي للمكان، الذي بات يراود نفوس أهالي مدينة غليزان وبالأخص الباعة الذين يفترشون بضائعهم على أرصفة السوق بمجرد شيوع خبر فض سوق زنقة الركابة هذا الخبر الذي ورد على لسان "الحاج بلة" قائلا: " زنقة الركابة التي بدأ الكلام يكثر عليها ... راهم ايقولوا باللي واحد ما غاديش يخلوه في زنقة الركابة."[40].

الباعة تائهون لا أحد يعرف مصيره ومصير عائلته التي تقتات من السوق :" الله يعلم وين نقدروا من بعد نبيعو سلعتنا."[41] فهم يذودون عن السوق وأمنيتهم أن يبقى نظيفا آمنا خالي من كل المخاطر والسارقين الذين يهددون قوتهم فأمن سوقهم هو أمن حياتهم وحياة عائلاتهم وأطفالهم ويعد هذا المكان مصدرا لتحصيل قوت يومهم: " الرحبة، رحبة تلقاط الرزق."[42]

ليتأكد الخبر ويقطع الشك باليقين ولم يكن مجرد إشاعة، حدث ذلك في صبيحة يوم بارد من شهر جانفي سنة 2012:" وقف تجار الخردة مشدوهين مندهشين مما يحدث وقد أخلقت زنقة الركابة ذلك الصباح بقبضة شديدة أمسك بها شرطة الضبط يساعدهم شرطة مكافحة الشغب ...المنتشرة مجموعات في مداخل الطرق الموصلة إليها...أحكم غلقها ...حتى لا يصل إليها أحد من تجار الخردة الذين ملئوا المكان ببضاعتهم الرثة الراشية البالية التي في الحقيقة لا تصلح للبس الآدمي وقد نخرت من كل جهة فيها."[43]

وبقيت ذكريات سوق زنقة الركابة متجدرة في ذهن وقلب كل من أعتاد التردد على المكان والتجوال على رصيفه بين البضائع الباعة المعروضة على اختلاف أنواعها تتنوع بين القدم والجدة "كل شيئ يباع في زنقة الركابة".

شكلت خاتمة الرواية رفض الروائي لفكرة إزالة السوق هذا القرار الذي أفقد المواطن الإحساس بنكهة التجوال والبحث عن ما يحتاجه الطفل الصغير،الشاب والشيخ، فالكل يطرق باب زنقة الركابة التي تمثل بالنسبة إليهم جزءا من ثقافتهم وتاريخهم وإحدى القرائن المميزة لمدينة غليزان لم يعد لهؤلاء بصدور قرار فض السوق لم يجدوا ما يتاجرون فيه وقد ضاقت بهم الدنيا ولم تسعهم المدينة ولن تحتضنهم الشوارع الأخرى من المدينة ولن تتقبل "تفريشاتهم" من السلع والبضائع المتنوعة التي يعرضونها للبيع وسيشتاقون لعطف وكرم وحنان وسعة قلب زنقة الركابة التي كانت في الأيام الماضية تستقبلهم بالأحضان:" بل سيأتي يوم لن يصدق أحد بأنه كان هناك شارع يطول أو يقصر يسمى: زنقة الركابة" [44].

<u>وظائف العنوان:</u>

على الرغم من قصره إلا أنه يحمل في ثناياه مجموعة من الوظائف التي تجعل منه خطابا مشفرا يحيل القارئ منذ الوهلة الأولى على التساؤل والبحث عن تاويل معنى العتبة والكشف عن العلاقة التي تربطه بالنص و من جملة هذه الوظائف:

<u>1رسالة لغوية ونظاما تواصليا:</u>

يمرر لنا خبرا يؤكد فيه على خصوصية وميزة مدينة غليزان المتمثلة في زنقة الركابة هذا السوق العتيق الذي يصبغ على المدينة هويتها وأصالتها حيث يمثل العنوان عتبة نصية تستوقف القارئ المثقف بوصفها مفتاحا لبوابة الولوج إلى عالم المتن ومنه فإن المبدع لا يضع عنوانا لنصه دون تفكير وتروي ذلك لأن عملية الاختيار عسيرة

ومضنية بالنسبة إليه فهو :" يجهد نفسه في اختيار عنوان يلائم مضمون كتابه لاعتبارات فنية وجمالية ونفسية وحتى تجارية" [45] بسام قطوس: سيمياء العنوان، ص31.

2 **وظيفة مرجعية تاريخية وثقافية:** تنبئ عن مدى ارتباط الذات بماضيها العريق وأن سكان المدينة يتمتعون بثقافة اجتماعية ودينية زادت من تآزر وتآلف الأفراد وتلاقيهم في هذا المكان لكسب لقمة العيش.

3 **وظيفة تكثيفية اختزالية**: استطاع من خلال بنيتان اختصار مسافات تمرير إلى القارئ خطابه الذي يمثل جوهر الحدث ونقطة ارتكاز الموضوع بحيث يدرك القارئ أن العنوان ميزة وعلامة وخصوصية لمنطقة معينة وأن التسمية لها معطى ثقافي واجتماعي واقتصادي وديني.

4 **وظيفة إغرائية:** يدرك القارئ منذ اتصاله بالنص في الوهلة الأولى أن عتبة العنوان وما يولده من انفعال للمتلقي فينجذب نحوه ليقتني الكتاب فيشرع في قراءته واكتشاف دلالاته.

5 **وظيفة إيحائية**: يوحي العنوان من خلال بنيتيه إلى القارئ مهمة حل شفرات خطاب العنوان وماذا تعني "زنقة الركابة " بحيث يفتح لنا باب التأويل على مصراعيه للبحث عن العلاقة الضمنية بين العنوان ومتن النص.

استنتاج:

خلصنا في محاولتنا هذه إلى مجموعة من المميزات التي وسمت العنوان لما يحمله من قرائن سيميائية تتمثل فيما يلي:

1 إدراك الروائي أن العنوان إبداع فني له القدرة على استفزاز المتلقي مما يدفع به إلى محاورته وتأويل مضمونه.

2 يمثل العنوان "زنقة الركابة" قرينة سيميائية استمدت توجهاتها من خلال علاقة الذات براهنها وتاريخها وحياتها اليومية ومستواها المعيشي والثقافي.

3 يجسد العنوان وعي الروائي بالقضايا المصيرية التي يجب أن تصل إلى العام والخاص.

4 يتميز العنوان بالموضوعاتية التي تختزل النص بالرمز والإيحاء.

5 يحيل العنوان إلى قرينةالمكان فيتجلى لنا بوصفه المخلص من جحيم الفقر وألم الجوع فهو قبلة المحتاج ومتنفس المواطن البسيط في كسب لقمة العيش.

6 يحمل العنوان خطابا واعيا بروح المسؤولية المتمثلة في ضرورة الحفاظ على المكان الذي يحيلنا إلى ذاكرة التاريخ وعدم محو صورته الأصيلة ورفض صارخ لطمس معالمه وفقدان الذات لإحساسها العميق بالانتماء والهوية.

هوامش البحث:

-1 عبد النبي ذاكر: عتبات الكتابة مقاربة لميثاق المحكي العربي، دار ليلى، ط 1، أغادير، 1998، ص 13.

2- المرجع نفسه، ص14.

3- محمد قارب الجزار: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة لكتاب، 1998، ص15.

[4]- محمد مفتاح: دينامية النص، تنظير وإيجا، المركز الثقافي العربي، ط 2، الدار البيضاء1990،ص 72.

5- المرجع نفسه، ص 74.

6- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، 1992، م 15، ص 106.

7- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، المغرب 1984، ص 89.

8-ادريس الناقوري: لعبة النسيان، درا سة تحليلية نقذية، دار العالمية للكتاب، ط1، الدار اليضاء، 1985، ص 21.

9- شعيب خليفي: النص الموازي للرواية، استراتيجية العنوان، مجلة الكرمل، العدد 46، 1992، ص (84-85).

10- دليلة مرسلي: مدخل إلى التحليل البنيوي للنصوص، دار الحداثة، ط 1، بيروت، 1985، ص (43-44).

11- جميل حمداوي: السميوطيقا والعنونة، عالم الفكر الكويتية، مج 25، ع 23 يناير، مارس 1997، ص 90.

12- الطاهر روابنية: الفضاء الروائي في الجازية والدراويش، لعيد الحميد بن هدوقة، والمعنى "المساءلة، ع1، ربيع 1991، ص 15.

13- المرجع نفسه، ص79

14-لوسيانقولدمان وآخرون: الرواية والواقع، ترجمة رشيدين حدو، عيون المقالات، دار قرطبة، ط1 الدار البيضاء 1988، ص 12.

15- جميل حمداوي: سميوطيقا العنونة، عالم الفكر، المجلد 25، العدد 3، يناير، مارس، الكويت، 1997، ص 79.

16- ابن فارس: معجم القياس في اللغة، ص 883.

17- محمد سعادي رواية زنقة الركابة: دار الكتاب للنشر والتوزيع، ط1، بوقراط، مستغانم، 2015، ص03.

18- المرجع السابق، ص 3 .

19-المرجع السابق، ص3.

20-المرجع السابق، ص 3

(21) -معجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ط الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1435 هـ - 2004، ص 403.

(22)- معجم الوسيط ص 368.

(23)- المصدر السابق، ص28.

(24) -الرواية، ص27.

(25)- بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن،ط 2001 ،ص31.

(26)- عبد القادر رحيم: العنوان في النص الإبداعي أهميته وأنواعه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني والثالث، جانفي 2008 ، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص11 و12.

(27)- ياسين النصير: اشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، ، ط 1 بغداد، 1986، ص 08 .

(28) - المرجع السابق، ص 08.

(29)- الرواية، ص 226.

(30) -الرواية،ص206.

(31) -الرواية،ص206

(32) الرواية، ص 161.

(33) -ص 120

(34) - الرواية ص 03

(35)- الرواية،ص53.

(36) -الرواية،ص84.

(37) -الرواية،ص73.

(38)- الرواية،ص226.

(39)- الرواية،ص227

(40)-الرواية،ص197

(41)- الرواية،ص199

(42)- الرواية،ص 206.

(43) -الرواية،ص229.

(44)- الرواية،ص230

(45)- بسام قطوس: سيميائية العنوان، ص 31.